Spectrum Journal of Innovation, Reforms and Development
Volume 34, December - 2024 | ISSN (E): 2751-1731
WEBSITE: WWW.SJIRD.JOURNALSPARK.ORG

THE VIRTUOUS CHARACTER IN THE NOVEL "THE ROSE" BY HOSSAM KHAWAM AL YAHYA

Assist. Prof. Hadeel Nashat Aswad Hanaf
Finance and Banking Department, College of Administration and Economics, Aliraqia University, Iraq
Email : hadeel.n.aswad@aliraqia.edu.iq

Abstract

This study seeks to shed light on the concept of the virtuous character in the novel (The Rose) at two levels: the mono-typical, and the complex, transformative, by presenting the course of events specific to the character, of which the character is the primary focus in moving it, which requires examining the path of this character's transformations or fluctuations between goodness and goodness. And evil or virtue and vice. As well as revealing its patterns and levels of presence in terms of simplicity or typicality, complexity or composition, in a way that reveals its references and social, humanitarian and moral backgrounds, in a poor, backward society - as depicted in the novel - which is the village of (Imam Askar) located on the western bank of the Rose River.

The novel follows the approach of modern novels in its adoption of multiple voices, or collective heroism, in terms of depicting the social agency influencing the course of events, away from the stereotypical image of depicting the single heroic character, which placed all the work's characters on the same level in terms of influence and effectiveness.

The research problem is that the novel simultaneously combines elements of the modern novel, such as polyphony and a focus on multiple characters, with aspects of the traditional novel, particularly in its plot structure and character development within the narrative framework.

Introduction

الشخصية الفاضلة في رواية "روز"

لحسام خوّام آل يحيى
م.د. هديل نشأت اسود حنف
الجامعة العراقية , العراق, كلية الادارة والاقتصاد , قسم المالية والمصرفية
hadeel.n.aswad@aliraqia.edu.iq Email :

الملخّص

تسعى هذه الدراسة إلى الإضاءة على مفهوم الشخصية الفاضلة في رواية (الروز)، في مستوييها: النمطي الأحادي، والمتحوّل المركّب، عبر عرض مسار الأحداث المخصوصة بالشخصية والتي تشكل الشخصية البؤرة الأساسية في تحريكها، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند مسار تحولات هذه الشخصية أو تقلباتها بين الخير والشر، أو الفضيلة والرذيلة، وكذا الكشف عن أنماطها ومستويات حضورها من حيث البساطة أو النمطية، والتعقيد أو التركيب، على النحو الذي يكشف عن مرجعياتها وخلفياتها الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية، في مجتمع فقير متخلف – كما تصوره الرواية – هو قرية (الإمام عسكر) المتموضعة على الضفة الغربية لنهر الروز.

وتنهج الرواية منهج الروايات الحديثة في اعتمادها الصوت المتعدد، أو البطولة الجماعية، لجهة رسم الفاعلية الاجتماعية المؤثرة في مسار الأحداث، بعيداً عن الصورة النمطية لرسم الشخصية البطولية المنفردة، الأمر الذي وضع مجمل شخصيات العمل في مستوى واحد من حيث التأثير والفاعلية.

وتبرز إشكالية البحث في أنّ الرواية تجمع في آن معاً بين نمط الرواية الحديثة من حيث تعدد الأصوات ومركزة الشخصيات، والرواية القديمة من حيث نمط الحبكة وسيرورة بناء الشخصيات في المتن الروائي.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الفاضلة – رواية (الروز).

أوّلاً: مفهوم الشخصية:

تعدّ الشخصية عنصراً أساسياً في الرواية، بل إنّ بعض النقاد يذهب إلى أن الرواية في عُرفهم هو (فن الشخصية)، وذلك لا غرابة فيه، إذ تُعد الشخصية مدار الحدث سواء في الرواية أو الواقع أو التاريخ نفسه، وحتى في صوره الأولى المتمثلة في الحكاية الخرافية والملحمية، وفن السيرة الشخصية، فإنّ الشخصية تلعب الدور الرئيس لأنها هي التي تنتج الأحداث بتفاعلها مع الواقع أو الطبيعة أو تصارعها معها، إذ تمثل الشخصية عنصراً محورياً في كلّ سرد بحيث لا يمكن تصوّر بداية من دون شخصيات، فقد اكتسبت كلمة الشخصية في الرواية مفاهيم متعدّدة.

أ- الشخصية لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور، (الشخصُ): جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكراً، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص، والشخص سواء الإنسان وغيره نراه من بعيد ونقول ثلاثة أشخص، وكل شيء رأيت جسمانهُ فقد رأيت شخصه، وشخصَ بالفتح شخوصاً أي ارتفعَ، والشخوص ضدّ الهبوط.

كما وردت لفظة الشخصية في معجم (الوسيط): أنها صفات تميّز الشخص عن غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية، ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل[1] (ابن منظور، 1997م: 356).

أي أن كلّ شخص يحمل شخصية خاصة به وتتميز عن غيره.

أمّا في المعاجم الحديثة فنجد معجم (المصطلحات العربية في اللغة والأدب) يقول: (فالشخصية الروائية سواء كانت إيجابية أم سلبية فهي التي تقوم بتحريك وتطوير الأحداث في الرواية وهي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية)[2] (وهبة، 1984: 308).

أمّا في معجم (المصطلحات الأدبية)، فتشير (الشخصية إلى الصفات الخلقية والجسمية والمعايير والمبادئ الأخلاقية، ولها في الأدب معانٍ نوعية أخرى، وعلى الأخص ما يتعلّق بشخص تمثله رواية أو قصة)[3] (فتحي، 1998م: 15ف9).

نستنتج أنّ الشخصية هي صفات تميّز الشخص عن غيره، أي أن لكلّ شخصية ميزة عن الآخر، والشخصية في الأدب، هي كل ما تقوم به الشخصيات من أفعال وسلوكات من أجل سيرورة العمل السردي.

ب - الشخصية اصطلاحاً:

اتخذ المفهوم الاصطلاحي للشخصية تعاريف متعددة ومختلفة باختلاف وجهات نظر الباحثين. ويمثّل مفهوم الشخصية: مجمل السمات التي تشكّل طبيعة شخص أو كائن حيّ وهي تسير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية[4] (زعرب، 2015م: 117) أي المظاهر الخارجية من خلال الصفات الجسميّة والأخلاقية هي التي تبني الشخصية.

وكذلك هناك من يرى أن الشخصية: (كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية)[5] (برمس، 2003م: 42) كما عُرفت أيضاً أنها: (كائن بشري من لحم ودم ويمشي في مكان وزمان معينين، ويرى آخرون أنها هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسب مدلوله من البناء القصصي، فهو الذي يمدّ بهويته)[6] (زعرب، 2015م: 117) أي أنّ الشخصية هي كائن بشري له صفات بشرية تتفاعل مع الزمان والمكان فهي بناء يتكوّن داخل العمل الروائي.

وكذلك يرى البعض أنها (كائن ورقي فذّ من سمات وعلامات وإشارات يمكن منها خطأ ما، فالشخصية إذن عالم الأدب والفن والخيال، وهي لا تُنسب إلا إلى عالمها ذاك)[7] (الحجيلان، 2009م: 52).

أمّا بشأن مصطلحات مثل: (الشخصية الحكائية، الشخصية الروائية، الشخصية القصصية) فإنها تحمل دلالة واحدة، وقد حدّد عبد الملك مرتاض الشخصية النفسية بقوله: (إنّ الشخصية أداة فنية يبدعها المؤلف لوظيفة هو مشرئبّ إلى رسمها، وهي شخصية النسبية قبل كل شيء، حيث لا توجد خارج الألفاظ إذ لا تغدو كائناً من ورق)[8] (مرتاض، 1990م: 67-69)، فالشخصية من صنع الخيال يبتكرها ويخترعها الكاتب من أجل أداء أدوار مختلفة وإيصال رسالة إلى القارئ.

وفي رواية (الروز) لحسام خوام آل يحيى نضيء على جانب الشخصية الفاضلة من حيث التركيبة النفسية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية، في سياق علاقة الشخصيات ببعضها بعضاً، اتكاء على المنحى التاريخي لهذه الشخصيات من جهة، وعلى السمات الشخصية أو الصفات أو القيم التي تتمتع بها، في سياق علاقتها بطبيعة البيئة المكانية الريفية بوصفها بيئة بسيطة. ونقف في السياق عند نمطين بارزين من أنماط الشخصية الفاضلة، بالنظر إلى طبيعة الشروط الموضوعية والتاريخية المحيطة، وهما: الشخصية النمطية، والشخصية المتحولة.

ثانياً: صورة الشخصية الفاضلة في رواية (الروز).

قد يتوهم التلقي أنّ تناول موضوع (الشخصية الفاضلة) في رواية (الروز) إنما يقتصر على المعنى الأحادي للشخصية، بمعنى ما تتسم به الشخصية عموماً من صفات حميدة وأخلاق فاضلة على نحو نمطي يعيدنا إلى الحديث عن القيم والمثل العليا التي تتسق وصورة المجتمع الفاضل التي تحدث عنها الفلاسفة والحالمون، وهنا نشير إلى أنّ مفهوم الشخصية الفاضلة إنما يتسع ليكشف عن تحولاتها وعن تجلياتها السلوكية المختلفة والمتفاوتة تبعاً لعلاقة الذات بالواقع، من جهة، وتبعاً لعلاقة الذات مع الآخر، من جهة ثانية، وتبعاً لعلاقة الذات مع ذاتها، بمعنى الافتراق الحاصل بين ما تعلنه الذات قولاً وما تتمثله سلوكاً موضوعياً، من جهة ثالثة. وتعنى الشخصية (التكامل النفسي الاجتماعي عند الكائن الإنساني، الذي تعبّر عنه العادات والاتجاهات والآراء)[9] (مسعودي، 2010/2009م: 130).

أي أن الشخصية هي مجموع العادات والتقاليد التي تعبّر عن تصرفات وأفكار الإنسان في المجتمع. وهي عند "فيمكوف" و "داجيون" تعني (التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الكائن الحيّ)[10] (الساعاتي، 1983م: 118)، فالشخصية الواحدة عبارة عن مجتمع عامة- يتمّ من خلاله إنتاج عدّة شخصيات مختلفة فهي تبيّن الصفات العامة.

وعليه فنحن نسلط الضوء على مسار تحول الشخصية وتذبذبها أو مراوحتها بين الفضيلة والرذيلة، في سياق علاقة جدلية قد تبدو من حيث الظاهر بسيطة بين الشخصية وشروطها المكانية والتاريخية والنفسية، وبهذه الإضاءات اللغوية والاصطلاحية للبنية والشخصية نستنتج تعريفاً لبنية الشخصية، وهو: (مصطلح يستعمله الناقد للدلالة على تصوّر افتراضي تفسيري مُستنتج من بعض المظاهر السلوكية التي تكشف عن مجموعة من الاتجاهات والدوافع المستنتجة من تصرفات البطل أو الشخصية الموجودة في نصّ القصة أو الرواية التي تتميّز بتطورها خلال تطور الزمن في القصة أو الرواية)[11] (الحجازي، 2001م: 124).

ولعلّ الحديث عن الشخصية الفاضلة الفنية في الرواية، يُعزى أصولاً إلى طبيعة الفن عموماً والرواية ضمناً، بوصفه ضرباً من التوازن بين الإيديولوجيا والفنّ، أو الواقع والخيال، أو الرؤية الواقعية والرؤية الفنية، لجهة العلاقة الجدلية الفاعلة بين الذات والموضوع، بما ينطوي عليه الموضوع من حقائق وأحداث واقعية، وبما تنطوي عليه الذات من مواقف فكرية وعاطفية، وخيال حيّ خلّاق، ومقدرة على التأثير بالواقع والتأثر به، كما يُعزى التفسير المنطقي لسعي كتاب الرواية إلى الكشف عن مسار تحول الشخصية في الواقع إلى رغبة باطنة في كسر قيود الواقع وتجاوزه باتجاه واقع أجمل، دون أن يعني ذلك التبرّؤ من الواقع والقفز فوقه على نحو ما درج عليه الرومانسيون، وإنما على نحوٍ تتعزّز فيه أصداء الواقع بوصفه سياقاً كلياً لعموم الأحداث، أو الإطار الذي تلتقي فيه مختلف الروافد الفكرية والفنية واقعاً وخيالاً. وبذا ينفتح مفهوم الشخصية الفاضلة ليضمّ بين جنبيه الصراعات النفسية العميقة بين الفكر والواقع، والذات والآخر، والذات وذاتها، والذات والمكان، على نحو يحقّق قيمة جمالية ذات دلالة وظيفية في الرواية.

إذن تعدّ الشخصية الفاضلة بنية مفتوحة تتعدّد على إثرها إنتاجية المعنى وتتعزّز الخاصيّة الفنية، عبر تقديمها مشاهد مختزلة لواقع إنساني يتجدد في كل زمان ومكان، بما تحمله من دعوة لتأجيج النفوس والتبصّر واسترفاد مكامن الوعي بالذات والواقع على حدٍّ سواء،[12] (كاظم، 2003، 237) على نحو ما تظهر عليه بنية الشخصية عموماً في رواية (الروز)، التي تتناول أحداثاً تجري في مكان محدد هو قرية (الإمام عسكر) المتموضعة على إحدى الضفاف الغربية لنهر الروز، وتمثل فيها الشخصيات بنى تتعالق فيما بينها دلالياً على مستوى التحولات الكبرى على المستوى النفسي المضمر، والسلوكي المعلن، على نحو يكشف بجلاء عن المضمرات النفسية والمرجعيات السلوكية لهذه الشخصية أو تلك.

ينحو (آل يحيى) في رويته منحى تجلية المنحى النفسي والاجتماعي لتكوين لشخصياته، في مسار زمني متحوّل ينطوي على مشاهد يمزج فيها بين الماضي والحاضر معتمداً على تقنية الاستذكار والمونولوج في مسار بناء ملامح شخصياته التي يعمد في تشكيلها إلى بنية التقابل بين الصفات الحقيقية لكل شخصية والتي غالباً ما تُكشَف ضمن سياق الحدث التاريخي، وسلوكات هذه الشخصية الظاهرة، والتي غالباً ما تقف على حدّ النقيض مع صفاتها الذاتية، وهو بهذا يلجأ إلى طريقتين للكشف عن طبيعة الشخصية في مسار الحدث الروائي. الأول: إيهام المتلقي بصفات فاضلة للشخصية على نحو يكشف فيه مسار الحدث – بشكل صادم - عن صفات نقيضة لها، أو عن حقيقة هذه الشخصية. والثاني: إبراز مستوى تحول الشخصية على مستوى صفاتها بين الخير والشر، أو بين الحق والباطل، أو بين الفضيلة والرذيلة.

ويقول أحد الباحثين في مجال علم النفس: (إنّ دراسة الشخصية يُقصد بها الاهتمام بتلك الصفات الخاصة لكل فرد، والتي تجعل منه وحدة متميزة مختلفة عن غيره)[13] (الحجيلان، 2009م: 54). أي أنّ كلّ شخص يحمل شخصية خاصة تتميّز عن غيره. في حين يرى مورتن بدنس أن (الشخصية هي مجموع الاستعدادات والميول والدوافع والقوى الفطرية والموروثة، بالإضافة إلى الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة)[14] (الحجيلان، 2009م: 54).

ويبرز في الرواية ملمحان أساسيان يضفيان عليها طابع التميز والفرادة، الأول: أنّ المتلقي قد يتوهم أنّ الشخصية عموماً في سياق علاقتها بالمكان (القرية) ستأخذ طابعاً الشخصية البسيطة سواء كانت إيجابية أم سلبية، بيد أننا نُصدَم بمسار مناقض تماماً يتمثل في أننا إزاء شخصيات مركّبة لها فاعليتها المشتركة في تشكيل الانطباع العام عن المكان. والثاني: أننا إزاء بطولة جماعية لا فردية، على النحو الذي تنكشف فيه الشخصيات بمعظمها بوصفها شخصيات رئيسة، الأمر الذي يضفي على الرواية طابع الحداثة الفنية المفارق للتصور البنائي الكلاسيكي للرواية عموماً.

وتكاد تكون كلّ شخصيات الرواية متحولة مركّبة، ما عدا عدداً من الشخصيات التي تبدي قدراً من الثبات أو الأحادية من حيث السمة العامة، ومنها: شخصية (عمران) صاحب الدكان الوحيد في القرية، و(عمران) زوج (حسنة) بنت (الملا منيف)، وشخصية (الأستاذ حسن) ابن المختار، الذي يتمثل الصفات الفاضلة على المستوى الشخصي والاجتماعي، وشخصية (نوارة) الزوجة الثانية للملا منيف، والتي استسلمت لحظها البائس طوال حياتها راضيةً بقسمتها دون أن تفكّر ولو لمرة واحدة بالخروج عن عما هي عليه. وربما عمد الراوي إلى اعتماد هذا النمط من الشخصيات في سياق إبراز مستوى التقابل أو التناقض بينها وبين الطرف الآخر أو باقي الشخصيات، على النحو الذي يغذي النزعة الدرامية في النصّ.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الرواية تكتسب بقوّة طابع الكلاسيكية من حيث المضمون أو الموضوع، وإن نحت من حيث الشكل منحى التجديد القائم على استثمار مختلف معطيات السرد وتقنياته من استرجاع وتسريع أو قفز وحوار ومونولوج، وسوى ذلك.

وهذا الأمر يعود أصولاً إلى طبيعة البيئة المكانية التي يصور فيها الكاتب حياة الشخصيات، فالمكان قرية صغيرة ما تزال على بداءتها الأولى من حيث الأبنية والعلاقة المكرورة بالزمن، على النحو الذي يصلح لتعميم فكرة مفادها أنّ الرواية الكلاسيكية عموماً هي رواية الريف، والرواية المعقدة أو المتشعبة والمتعالقة تعالقاً جدلياً بمساراتها في الحبكة هي رواية المدينة.

إنّ علاقة الشخصيات بالمكان هي علاقة وظيفية على نحو ما يبدو في المتن الحكائي، فقرية الإمام عسكر عبارة عن مجموعة بيوت طينية تتجمع فيها شخصيات الرواية على اختلاف تكوينها النفسي، بيد أنّ علاقة المجموع تبدو نمطية من حيث الأداء الوظيفي أو السلوك الوظيفي الذي يتمحور حول الحياة وتحدي ظروفها وشروطها التاريخية في ذلك المكان.

ويضفي الكاتب على بعض الشخصيات ملمحاً أصيلاً من ملامح التحول الطبقي أو الوظيفي، فشخصية جميل جبارة نراها تنطوي على انفتاح نحو المدينة على إثر طبيعة عمله في التجارة التي تحتاج إلى مكان متعدد المستويات والأنماط الاجتماعية، والملا منيف يبدو أنه يحمل سمات نفسية ابن المدينة في فهلويّته التي يقتضيها عامل الرّبح – بحكم عمله على سيارة تنقل أبناء القرية إلى المدينة وبالعكس - ولو كان ذلك منافياً للطبيعة النمطية أو الكلاسيكية أو الأحادية لابن الريف عموماً.

1- **الشخصية الفاضلة المتحولة:** يقصد بالشخصية المتحولة تلك الشخصية المركبة التي تنطوي على مفارقات واضحة بين أقوالها وأفعالها، أو بين ما تدّعيه ظاهراً وما تخفيه باطناً، في سياق علاقتها بالآخر، على نحو يبرز تحولها وترددها بين الفضيلة والرذيلة، أو المنحى الإيجابي والمنحى السلبي، أو يبرز انطواءها على الملمحين في آن معاً. وقد جعل الناقد الروسي "توما شفسكي" (مفهوم البطل هو مفهوم الشخصية من خلال استبعاده لها من القصة، بوصفها متغيراً، لكنه لا يستبعدها من حيث كونها عنصراً لا يتمّ السرد إلا به)[15] (لحميداني، 1991م: 53). ومن خلال مفهوم "توما شفسكي" يمكن القول: إن مفهوم الشخصية هو مفهوم البطل في حدّ ذاته، وذلك باعتبار الشخصية عنصراً متغيراً للسرد.

وفي هذا السياق تبرز شخصيتا (جميل جبارة) و(ملا منيف) مثالاً واضحاً على الشخصية الفاضلة المتحولة. وهما من الشخصيات الأكثر ظهوراً في الرواية، أي أكثر من الشخصيات الأخرى، فهي تحدّد الدور الذي يقوم به الحدث من تحديد فعالية الشخصية، وتسمّى بالشخصية المحورية (باعتبار أنه شخص محور يكون مركز الحدث ومعه شخصيات أخرى تساعده وتشاركه في الحدث)[16] (سلامة، 2007م: 27) أي أنها تدور حول شخص رئيسي أو محوري تنطلق وتدور معه الأحداث، وهي أيضاً (الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثّل ما أرادت تصويره، أو ما أراد التعبير عنه من أفكار وأحاسيس، وتكون هذه الشخصية قوية ذات فاعلية، كلّما منحها القاص حريةً وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها، بينما يختفي هو بعيداً يراقب صراعها وانتصارها أو إخفاقها وسط المحيط الاجتماعي أو السياسي)[17] (شريط، 2009م: 45).

أ- **جميل جبارة.**

تاجر حبوب، يعدّ من محدثي النعمة الذين يحاولون نسيان ماضيهم والتعمية عليه دون جدوى، بسبب تذكير زوجته الدائم له وتعييرها المستمر له بسرقاته القديمة، الأمر الذي حكم على علاقتهما بالتوتر وفقدان الثقة. وتبدو شخصية (جميل) من الشخصيات ذات الطابع المزدوج أو المركب أو المتحول، ويمكن رصد هذا التحول من خلال مواقف شتّى، فهو في الوقت الذي يتأهب فيه للصلاة نراه يشتم زوجته بألفاظ بذيئة:

(خرج من عندها بعد أن شتمها – همساً – بلسانه البذيء، وحمل بيده إبريق الماء النحاسيّ الموضوع خارج حجرة نوم عياله جوار سور بيته الطيني وتوجه لبستان الرمان خلف داره ليقضي حاجته ويتهيّأ للصلاة).[18] وهذا الموقف يكشف عن طبيعة العلاقة الذكورية لدى الرجل في سياق تعامله مع الأنثى أو الزوجة عموماً، ولا سيما في مجتمع قروي يبدو الرجل فيه هو القوّام على المرأة، لا بمعنى القوامة المالية، وإنما بمعنى التسلط الذكوري، يبرهن على ذلك أنّ زوجة جميل (موزر) هي من الثريّات البخيلات التي تعدّ على زوجها نقوده وتقنّن له في مصاريفه، بل هي المسؤولة عن مدّه بالمال لقضاء حوائجه الضرورية، وعليه تبدو طبيعة العلاقة بين جميل وزوجته علاقة صدامية أشبه بالنار تحت الرماد، لا يشفع لها ما يدّعيه من فضيلة التمسك بالدين – على نحو ما يثبته الشاهد – من أنه مداوم على أداء فريضة الصلاة. ولعلّ موقفه من موت (الملا منيف) في وقت كان يتهيّأ فيه للنزول إلى سوق (بلدروز) لبيع محصول القمح بضعف السعر الذي اشتراه به من أهل القرية، يكشف عن زيف ادعائه الفضيلة الأخلاقية والسلوك الاجتماعي القويم والشعور الإنساني الصادق، فنراه في مجلس العزاء يكيل الشتائم للمتوفى على عدد حبات مسبحته، دون أدنى رادع أخلاقي أو ديني، وفي سياق مفارق يبعث على العجب والدهشة من طبيعة تحوّل هذه الشخصية ونفاقها: (جميل جبارة وولده البكر سليمان كانا من بين الوجوه المعتبرة ذوات الشأن في مجلس العزاء طيلة أيامه الثلاثة. لكن فتى خبيث من فتية تجمعوا يتلصصون على الأحاديث جوار الخيمة سمع جميل يسب ملا منيف – بصوت خافت – وهو يحرّك خرزات مسبحته السوداء، بعد أن سمع أنّ التاجر الذي فوّت موعده معه كان قد اكتفى بما اشتراه من غيره من الحبوب لهذا العام. فضجّ

[18] خوام آل يحيى، حسام: الروز، دار ميزوبوتاميا، بغداد، 2016م، ص10.

خبر سبّه لملا منيف على خرزات مسبحته للناس).[19] وهذا الموقف يكشف عن طبيعة شخصية (جميل) المادية العاشقة للمال والمتمسكة حتى الرمق الأخير بمتاع الدنيا وملذاتها وشهواتها، إلى الحد الذي غيّب دافع العبرة أو الاعتبار من حوادث الموت التي لم تفتأ تشيع في القرية، بالرغم من الادعاء الظاهر بالتمسك بالعادات الاجتماعية القائمة على التكافل والتأسي من المصائب بالجيرة والأهل والأقارب، على نحو ما يكشف عنه حضوره الشكلي في مجلس العزاء، دون أن تنفذ مشاعر الحزن الصادقة والمواساة الروحية إلى أعماقه، يؤكد ذلك خلوّه من النازع الإنساني الذي يتجلى في تفضيله تجارته يوم موت جاره المقرّب (ملا منيف) على حضور العزاء:

(لا حقاً بدّل جميل هذه الجلابية الجديدة التي يدّخرها لرحلات السوق بتلك المبرقعة بحروق جمرات سجائره، واتكأ طويلاً في مجلس العزاء ناصباً مجلساً آخر يرثي به حظه العاثر بعد فوات موعده مع تاجر الحبوب).[20] ولنا أن نتصور مشاعر الازدراء التي يكنّها جميل للمتوفى (ملا منيف) الذي لا يليق به – وفق ما يشي الشاهد – إلا جلابية مبرقعة تعبّر عن نظرة الاحتقار والبغض المضمر الذي يكنه له حتى في أشد اللحظات حساسية وحزناً، على النحو الذي يفضح موقفه الذي يعمد فيه على إظهار الفضيلة. مواقف (جميل) هذه تسبب للمتلقي الصدمة بعد محاولاته الحثيثة لنسيان ماضيه السيئ على نحو يوهمنا بأنه يقرر ضمناً أن يتحول إلى شخصية فاضلة، من خلال ما يرد على لسانه من تبريرات ضاغطة لسلوكه الشائن الذي كان عليه، فهو إن سرق فقد سرق عن جوع في أيام الحرب والفقر:

(تتهمني بالسرقة وتحاسبني على الدرهم. أنا لست سارقاً. الجوع كافر. كنت أسرق البيض والدجاج لآكل وأسدّ جوعي يوم كنت فقيراً أجرب... أنا خير منكم وإن كنت سارقاً في الماضي، لم أعد أسرق اليوم. لي ثروة وعزوة وعيال).[21] وهذا التبرير الذي يعمد (جميل) إلى إقناع نفسه به ضرب من ضروب التمويه والكذب ومخاتلة الذات والتبرير الخادع، فهو سلوك ينمّ على ضعف المبدأ الأخلاقي في النفس، ويكشف عن حقيقة الخصال الشخصية السيئة التي يتحلى بها، بمعنى انطواء الشخصية على بذور الفساد الأخلاقي في الوقت الذي يعمد إلى أن يوهمنا بالفضيلة وحسن النوايا، تحت عنوان: فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه، والضرورات تبيح المحظورات.

ولعلّ الاهتمام بالصفات النفسية والاجتماعية الخاصة بشخصية (جميل جبارة)، على نحو ما تشي به الشواهد السابقة، تكشف لنا عن الدوافع التي أدّت بشخصيته إلى أن تكون على هذه الصورة، ويمكن تحديد هذه الدوافع بحب المال، وعدم الانسجام مع شخصيته السابقة، ونزعة الذكورة، وهذه الدوافع النفسية تلقي بظلالها على المنحى الاجتماعي الذي تولد عنه النفاق الاجتماعي أو الازدواجية في الشخصية، والتعلق بالمادة على حساب القيم الروحية والأخلاقية، والسعي إلى بلورة صورة شخصيته الجديدة بعد أن غدا من محدثي النعمة، في محاولة لاهثة لنسيان ماضيه والدفع بالمحيط لنسيان تاريخ شخصيته السابقة. ويبرز الملمح السيميائي لشخصية من خلال فكرة مهمة تتمثل في تحقيق الشخصية لعوامل وجودها أو إحساسها بوجودها بعد أن كانت مهمشة وذات ملمح معيب في الماضي، الأمر الذي كان يدفعه باستمرار إلى إظهار عدم التعلق بالآخر على الصعيد الاجتماعي، ومحاولة فرض سلطته على صعيد العلاقة مع زوجه، وإثبات أنه الأفضل والأغنى بين نظرائه أو أبناء جنسه في القرية.

ب- ملا منيف.

تبدو شخصية (الملا منيف) من أعقد الشخصيات في الرواية، إذ إنّ السمة الأساسية في تركيبها أو تحولها لا يبرز إلا بالاقتراب من نهاية الرواية التي يفتتحها الكاتب بخبر انتحار الملا منيف شنقاً دون معرفة السبب. فالملا منيف هذا لا يتورع عن التجديف بكل مقدس لمصلحته المادية، على نحو ما يدرج على لسان (جميل):

(يتأهب للمتأخر ضجراً قرب سيارته في مفرق المحطة عند رأس شارع الحواش، يمسك بساعته ذات الزنبرك ومنبهها العجيب ليريه بأم عينيه أنه تأخر عن الموعد المتفق عليه وهو يجدف بكل مقدس بما لم ينزل الله به من سلطان... ويجبر المتأخر على دفع ضعف الأجرة جوراً كغرامة تأخير).[22] وهذا الموقف يكشف عن ميل الشخصية إلى تفضيل مصالحها المادية، ولو بأسلوب غير أخلاقي وغير مشروع، على القيم الروحية والفضيلة الأخلاقية، والكاتب يعمد إلى إبراز المفارقة في شخصية الملا منيف فهو في الوقت الذي يدّعي التدين نراه أبعد ما يكون عنه:

(يأتي المساء وينشر كوفيته على رأسه ويصلي بكم في جامع القرية كإمام للمصلين بعد أن يتملّقه حرّان المؤذن ويقدّمه للإمامة على اعتبار أنه أعلم منه في أمور الفقه والدين. كلكم تنسون تجديفه خلال رحلة السوق صباحاً وتسوون صفوفكم وتصلون وراءه

---

[19] م. ن، ص89-90.
[20] م. ن، ص81.
[21] م. ن، ص42-46.
[22] م. ن، ص42.

بخشوع. تجعلونه يعقد قران أولادكم وأنتم تعلمون كفره وإلحاده وصلاته المتقطعة لماماً في الجامع وبيته على حدّ سواء).[23] وهذا الموقف يعرّي تماماً شخصية (ملا منيف) التي تبدو في الظاهر متمسكة بأعراف الدين وقوانينه، ويشي بوضوح عن أنّ تملق أهل القرية له إنما هو لعاملين اثنين: الأول أنه صاحب مال يُرجى ما لديه ويُرهب، والثاني أنّ سلطته الدينية التي قد تسبغ عليه سمة الشخصية الفاضلة، إنما هي في الحقيقة مستمدة من موقعه الاجتماعي بوصفه (ملا) ورث عن أبيه مهمة عقد قران المتزوجين.

وبالرغم من هذه الازدواجية المركبة لشخصية الملا منيف بين الدين والدنيا، أو الحق والباطل، فإنّ الملمح الرئيس لشخصيته المتحولة يبرز في سياق علاقته مع (عمران) زوج ابنته (حسنة)، فقد أُثِر عن الملا منيف أنه من كفل عمران بعد وفاة والديه إعداماً في سجن (نكرة السلمان)، وكان والده من الضباط الذين اشتركوا في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضدّ النظام، وكان الملا منيف وقتها حارساً للسجن، وفوق هذا اشترى له دكانه ليتعيش منه وزوجه ابنته (حسنة) دون مهر أو أية تكاليف أخرى، على النحو الذي تبرز في شخصية الملا – ظاهراً – على أنها شخصية فاضلة على المستوى الإنساني والأخلاقي، ومن هذا ما يرد على لسان (عمران) نفسه:

(من لي بعده في القرية رحمه الله. التقطني من سجن – نكرة السلمان – بعد إعدام والديّ، وتبناني وأنا صبي ولم أبلغ الحلم بعد رباني كولد له بعد أن جاء بي إلى للقرية يوم أحيل على التقاعد... بعد سنوات طوال قضيتها، وحين اشتدّ عودي، فتح لي عمي الملا دكاني هذا، بعد أن شيده بيده وجهزه ببضاعته من ماله، وزوجني ببنته حسنة بعد أن تكفّل بكل المصاريف. فضله عليّ هو من جعلني أصبر على تجبر بنته حسنة معي وإذلالها الدائم لي. رجل – رغم بخله وفظاظته مع الجميع – إلا أنه معي كنسمة ريح باردة حنون في نهار تموز القائظ).[24]

إلا أن مسار الحدث يكشف عن السبب الأساسي القابع خلف تصرف الملا منيف هذا وإحسانه إلى عمران على هذا النحو، وهو ما يبرز في سياق حديثه مع زوجته الثانية الشابة (نوارة) واعترافه لها بماضيه المخفي عن الجميع، وطلبه منها أن تصارح الجميع وعمران تحديداً بما باح به لها عله يرتاح، فلم يكن الملا حارساً للسجن وإنما المسؤول عن لف الحبل حول رقاب كثيرين ومنهم والدا عمران الذي لم يعرفه في حينها لأنه كان ملثماً حين تنفيذ حكم الإعدام:

(أول مرة أحسست بالرهبة. لففت هذا الحبل الذي شاهدتهِ على رقاب كثيرين ولم أشعر بمثل ذلك الخوف حين لففته حول عنقي والدي عمران. ساعتها رأيت عيني الصبي تكاد تخرج من محاجرها لتأكلني حين شاهدني أجرّ والديه من عنده نحو الموت. وأنا أتأمل الطفل البريء وهو يودع والديه ساعة أخذهما من عنده لحجرة الإعدام كنت قد اتخذت قراري بتبنيه... عام بعد عام كبر عمران كولد لي وصار فتى فزوجته من حسنة ابنتي. لكنّ شعوري بالذنب تجاهه كبر مع مرور الأيام. لم يعرفني عمران بالتأكيد وأنا أجرّ والديه لحتفهما، كنت ملثماً حينها بهذا اللثام الأسود).[25]

على هذا النحو ظل الشعور بالذنب ملازماً للملا منيف، بل آخذاً بالتعاظم الأمر الذي لم يستطع التحرر منه بالرغم من كل ما قدمه لعمران، وهو ما يفسر قراره بالانتحار شنقاً على غرار الميتة التي تعرض لها والدا عمران، علّه بهذا يكفّر عن خطيئته التي لم ينسَها يوماً، ومن ذلك ما ورد في رسالته التي خطّها بيده قبل موته ودسّها تحت باب المخفر في مظروف أبيض:

(أنا انتحرت لسبب لا علاقة لأحد من أهل القرية به. نوارة وعمران وحسنة وكل أهل القرية براء من دمي. لي سبب خاص للانتحار. على كفي اليمين إقرار مني بصحة الرسالة هذه. أرجو أن تشرح ذلك يا مفوّض للجميع. أسأل الله أن يغفر لي ذنبي).[26]

وتبدو شخصية (ملا منيف) على الصعيد الاجتماعي شخصية تبعث في نفس المتلقي إحساساً مزدوجاً متضاداً، فهو إن كان مبعث احترام الجميع فذلك لمالهِ وسلطته الدينية ذات المنشأ الاجتماعي بوصفه (ملّا)، إلاّ أنه في الحقيقة لك يكن مثار عجب أو اهتمام المحيط لذاته أو لشخصه، وذلك لسبب رئيس يتمثل في نزوعه القوي إلى المال على حساب القيم الروحية والأخلاقية، وهو الأمر الذي يعيه الجميع ممن حوله. أما على الصعيد النفسي فإننا نلمح انقساماً بنيوياً في شخصيته بين القسوة المتمثلة في كونه حارساً للسجن، ومعذباً للسجناء من جهة، والرحمة المتمثلة في أسلوب تعامله مع زوجه الثانية "نوارة" من جهة، ومع "عمران" زوج ابنته "حسنة" من جهة ثانية، وهذا الانقسام هو الدافع الرئيس وراء انتحاره، إذ فشل في التصالح مع نفسه وتجاوز هذا الإشكال المأساوي.

---

[23] م. ن، ص43.
[24] م. ن، ص51-52.
[25] م. ن، ص105-106.
[26] م. ن، ص67.

2- **الشخصية الفاضلة النمطية:** وهي الشخصية التي تحافظ على صورتها الفاضلة على نحو يتواءم فيه جانبها الخلقي مع سلوكها الظاهر، أو يتماهى فيه ظاهرها وباطنها، شكلها ومضمونها. وتبرز في الرواية شخصيات شتى تندرج ضمن هذا النمط، وتحمل الشخصية الثابتة تسميات عدّة، كالشخصية الجامدة، أو النمطية، (وهي التي تبنى حول فكرة واحدة، ولا تتغير طوال الرواية وتفتقد للترتيب ولا تدهش القارئ أبداً بما تقوله أو تفعله)[27] (زعرب، 2015م: 121) أي أنها شخصية ثابتة.

ويعرّفها عبد الملك مرتاض بأنها (هي تلك البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدّل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة)[28] (مرتاض، 1998م: 89) أي أنها شخصية جامدة لا تقوم بأي حركة أو تطور.

كما نجد أيضاً عزّ الدين اسماعيل يعرّف الشخصية الثابتة (بالشخصية الجاهزة أو المكتملة التي تظهر في القصة من دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير، وإنما يحدث التغيير في علاقتها في الشخصيات الأخرى، وأمّا تصرّفاتها فلها دائماً طابع واحد فهي تفتقد أزمة صراع داخلي)[29] (غني، 2010م: 181) أي أن الشخصية لا تطرأ عليها تغيرات بل تبقى محافظة على ثباتها، ودورها في الرواية يحدث التغيير في علاقتها بالشخصيات الأخرى.

ويقول محمد هلال: (الشخصية البسيطة ذات صراعات غير معقدة، وتمثل صفة أو عاطفة واحدة، وتظل سائدة بها من بداية القصة حتى نهايتها)[30] (هلال، 1973م: 565) أي مستقرّة وواضحة وبينة لا تتغير أبداً وتبقى سائدة من البداية حتى النهاية.

أ- عمران.

تبدو شخصية عمران من الشخصيات التي حافظت على ما تتسم به من صفات فاضلة على امتداد الرواية، فقد بقي محافظاً على علاقة الزواج بابنة الملا منيف (حسنة) بالرغم من كرهها له وتعديها عليه أكثر الأحيان بالضرب، احتراماً منه لأبيها وتقديره لمعروفه معه منذ كان صبياً صغيراً، وبالرغم من تعييرها له بـ(اللقيط) هذا اللقب الذي شاع على ألسنة الجميع في القرية، على علمه بسلوك (حسنة) الشائن في كثير من المواقف، وتغاضيه عن محبتها للأستاذ (حسن) ابن المختار (طه النوشي).

وبالعموم تبرز صفات (عمران الفاضلة) في مواقف ثلاثة، مع زوجته (حسنة)، ومع عمّه (الملا منيف)، وموقفه من الصفات المرذولة التي كان عليها أهل قريته. فمما يرد في سياق علاقته بزوجته على نحو يكشف نبله وأخلاقه الفاضلة في التعامل معها: (تعلمون أنني قوي والقوة لله وهي صغيرة الجسد كيمامة وبإمكاني أن أحملها بيد واحدة لأرميها من بيتي نحو نهر الروز، لكنّ حبي لها هو ما يمنعني ويجعلني أبدو يوم تضربني حسنة كثور ضخم يسوقه صبي هزيل. أحبها ولا أقدر على إيذائها).[31] وهذا الموقف يعبر عن احترام الرجل للمرأة وحكمته ومحاولته استيعاب تحولاتها النفسية والعاطفية، على النحو الذي يضمن استمرار العلاقة الزوجية بأقل الخسائر الممكنة والحفاظ على هذه الرابطة التي هي قوام وحدة المجتمع. كما يجسد الشاهد طبيعة العلاقة المفارق بين القوة والحبّ، أو بين المنحى المادي الجسدي والمنحى الروحي، ويبين بوضوح مدى سطوة الحب وقدرته على تطويع القوة لمصلحتها، وإن كان هذا التطويع خارجاً عن مفهوم الفضيلة الذي يجب أن تتوازن فيه العلاقة مادياً وروحياً بين الزوجين.

وفي سياق علاقته بعمه الملا منيف يطالعنا عمران بموقف فاضل آخر يتجلى في عدم اكتراثه بمعرفة حقيقة عمه تجاه والديه: (نوارة حين أخبرت عمران بالحكاية صمت برهة ولم ينبس بكلمة واحدة، وأبدى عدم الاكتراث للخبر ولم ينطق بشيء. يعرف أهل القرية أنّ عمران طيب القلب متسامح مع الجميع في كل شيء، فلن يضيره إن كان ملا منيف هو من أعدم والديه أم غيره).[32] وهنا يبرز مفهوم التسامح بأبهى تجلياته، فما من فضيلة تفوق فضيلة أن يعفو المرء عن قاتل أهله، ويترك أمره لمن بيده الامر ليقتص له بالعدل والمعروف، كما يكشف الشاهد عن ملمح عميق من ملامح الحكمة والروية والتعقل، فإن لم يكن (ملا منيف) هو المسؤول عن قتل والدي (عمران)، فإن الدولة لن تقف عنده وستجد غيره ممن سينفذون الحكم.

ويبدي عمران موقفاً حاسماً من أهل قريته الذين يمجدون المال على حساب العرض والشرف ومعايير الرجولة، وهو ملمح يكشف الكاتب عنه في مساحة واسعة تصور لنا شخصية عمران الفاضلة على نحو مفصّل، ومن هذه المواقف مما يرد على لسانه:

---

[31] م. ن، ص54.
[32] م. ن، ص109.

(لا خير في قريتكم على الإطلاق. قرية يوقر أخلها الحقراء ويذلّون الأتقياء لا خير فيها. يقدرون الناس لما في جيوبهم ولا ينظرون لجوهر الرجال... أنا لست بخير منكم. أقرّ بذلك. لكني أفضل منكم على أية حال. فأنا لا أنظر لجيوب الناس مثلكم ولا أخاف من مرهون اللوطي كمان تخافون منه حين أتندّر عليه وعلى شذوذه الجنسي – على مرأى ومسمع منه – حين يأتي للدكان. أشرب الخمرة وأبيعه في دكاني على من يدمنونه منكم لكنني لا أصلي مثلكم رياء الناس... أنا لا أغتاب حنونة البدوية لأنها عطوفة عليّ أنا بالذات دوناً عن الجميع، بل لأنها تستحق التبجيل والثناء، فهي طاهرة لم تلوثها طباعكم القميئة وقريتكم الموبوءة بالنميمة... رجل كافي خيري فوق شرّي ولا أؤذي نملة).[33] وعليه تنجلي صفات (عمران) الأخلاقية وخصائله الفاضة ببعده عن التمسك بالمال وتمجيده، وعدم الخوف ممن يرتكبون الآثام لمجرد تمتعهم بالقوة والنفوذ، وبعده عن النفاق وادعاء الفضيلة خلافاً لما هُم عليه أهل قريته، وبراءته من الغيبة والنميمة التي شُبّهت بمن يأكل لحم أخيه، ويقدّر إحسان الناس ويبادلهم الإحسان ذاته، متسماً بوافر مشاعر الحب والمودة الإنسانية دونما مقابل.

وتبدو الصفات الجسمانية لشخصية (عمران) متوائمة والصفات الأخلاقية أو الروحية، فهو كما يتمتع بقوّة البنية الجسدية يتمتع كذلك بصلابة الموقف الخُلقي والروحي، ولعلّ منشأ ذلك يعود إلى حالة الفقر واليتم التي عاشها منذ صغره بعد أن توفي والداه شنقاً في السجن، أضف على ذلك ما حظي به من تعزيز للمنحى النفسي المتوازن لديه بعد أن كفله (ملا منيف) وأشرف على رعايته وتبنيه منذ الصغر وتزويجه ابنته وتأمين مستقبله المعيشي، الأمر الذي قوّم من سلوكه وحافظ على شخصيته الفاضلة بثباتها دون تحوّل.

ب- المعلّم حسن.

يرد توصيف (حسن) معلّم القرية على لسان شخصيتين بارزتين في الرواية هما (عمران) و(نوارة)، ويبدو (حسن) متسماً بفضائل شتى، على نحو ما يكشف عنه مسار الرواية، كالشرف والأخلاق والرجولة والنزاهة والحكمة والغيرة على أبناء قريته، ومن شهادة عمران به قوله:

(أفضل من فيكم هو حسن المعلّم رغم أنه كان من المفترض أن يكون عدوّي اللدود. لكن الحق أولى أن يقال هو أخيركم وأطهركم وأنقاكم. فهو رغم حسن وجمال حسنة زوجتي والتي كان بمقدوره أن يستغل هيامها به بسهولة ويظفر بها في خلوة لكنه أبى ذلك).[34] وفي هذا ملمح أخلاقي مهم يتمثل بالشهامة والعفّة، فأما الشهامة ففي تقدير (حسن) لعلاقة (عمران) بزوجته، وسعيه إلى الحفاظ عليها دون أن يعمد إلى التأثير فيها سلباً. وأما العفّة ففي كبح جماح النزعة الشهوانية التي قد تسيطر على المرء وتحجب عنه عقله في غمرة الفورة العاطفية المحرّمة.

ومما يرد في شهادة (نوارة) التي كانت تضمر محبتها لحسن:

(أنا لا أنكر أني فكرت بسليمان كزوج لي، لكنني لم أتكلم معه بأي حديث... ذات مرة لمحه عمي المختار يترقبني هناك فحص الشجار الخطير بالبنادق لولا حكمة حسن ابن عمي وتعقله. أخذ سلاح عمي منه ووأد الفتنة بحكمة. رأيته كالليث يزأر بوجوه الحاضرين. ما أشجعه! لم يضرب سليمان رغم أنه انتزع عصاه من يده يوم أراد سليمان ضربه بها على رأسه... منذ طفولته وهو رجل حصيف. لم أره يخطئ أو يكذب. لم يفتر ولم يسرق. حتى حين كنا نلعب كان يلعب كرجل. لم أره طفلاً يوماً ما... حسن شريف وعفيف. لم يقبل أن يخون عمران. وأنا متيقنة أنها حتى لو كانت – أي حسنة - فتاة غير متزوجة ما كان حسن أن يدنسها حينذاك).[35] وهنا يمثل (حسن) أنموذج الشخصية الفاضلة التي يتفق ظاهرها الحسن مع باطنها الحسن، وهو ما ينسجم مع طبيعة مهنته بوصفه معلماً لأبناء القرية، على النحو الذي يجسد فيه الأنموذج الذي يجب أن يحتذى في سبيل بناء المجتمع الفاضل.

ج- حنونة البدوية.

تبدو شخصية (حنونة) ذات طابع خاص، فهي عرّافة تقرأ طالع الناس بالودع ببراءة – تقارب الإعجاز – يشهد بها الجميع، هذا علاوة على أنها قابلة وطبيبة ماهرة تداوي الناس بالكيّ والأعشاب. وبالرغم من أنها تمارس بعض إمكانات السحر والعرافة لصالح البعض ولكن دون أذى، من قبيل السحر الذي أجرته لصالح (موزر) زوجة (جميل) لكيلا يتزوج عليها (ريمة) بنت مجيد الحائك، وبرغم الشكوك التي دارت حول وفاة (نومان الشرطي) شنقاً في مخفر القرية في اليوم ذاته الذي أقدم فيه على ضربها بالهراوة، لتتبعه أمه بعد شهرين.

---

[33] م. ن، ص57 وما بعد.

[34] م. ن، ص57-58.

[35] م. ن، ص99 وما بعد.

وبالعموم تبدو (حنونة) متحلّية بقدر وافر من المحبة والغيرة على أبناء القرية بالرغم من أنها غريبة عنها، هي وابنتها (سميرة)، التي ورثت مهنتها بعد أن هدم طوفان النهر منزلها المتاخم لمرقد الإمام عسكر:

(لذا فأهل قرية عسكر، ومنذ أن حلّت حنونة البدوية في قريتهم، يحرصون على أن تكون هي أول من تجهز موتاهم لزقاقهم الأخير مثل طبيب عارف ليس له بديل. تعاويذها وطقوسها المعروفة أثبتت جدارتها – بالتجربة – في إبعاد شبح الموت عن بيوت القرية من بعد حلوله - بسيرته المفزعة – بأحدهم في الجوار. وهي أخبر الناس منهم بموت حلّ في القرية قطف أرواح خمسة أفراد من بيت واحد على التوالي لولا أن أشارت عليهم العجوز البدوية بما يصنعون).[36]

وتبرز المفارقة بين (حنونة) وأهالي القرية عموماً، على صعيد الصفات والمواقف المبطّنة والمعلنة، على نحو يكشف عما تتسم به (حنونة) من شهامة وغيرة وكفاح شريف في الحياة لنيل رزقها، ومن ذلك ما يرد على لسان (عمران):

(تنافقون حنونة البدوية وتهابونها رغم بغضكم الشديد لها وحسدكم إياها لمالها الوفير مما تجنيه من تعبها وشقائها. تبجّلونها كنبيّ حين تحلّ في بيوتكم تداوي مرضاكم وتولد نساءكم وتقرأ طالعكم وتكتب لكم أدعية الرزق المجربة، وبعد أن تخرج تكيلون لها مختلف التهم والأقاويل).[37]

وتبرز حكمة (حنونة البدوية) في تدبّر الأمور ورصدها بميزان العقل والحكمة على نحو تتقاطع فيه مع شخصية المعلم حسن، ومن ذلك دورها الإيجابي الفاعل في فضّ اللبس الحاصل حول (نوارة) على خلفية زواجها بملا منيف وتربص حسنة بها:

(لولا حنونة البدوية قد حلت المعضل يوم شهدت أنّ سليمان بن جميل جبارة كان يكيل حنطة اشتراها أبوه منها في دارها وقد تركته هناك رفقة عاملهم ستار المخبول لوقع قاتل ومقتول في القرية تلك الليلة. وزيادة في التأكيد أخذت حنونة البدوية ملا منيف لدارها ليطمئن من ذلك بنفسه ويهدأ باله).[38]

ومما يثبت فضل (حنونة) على أهل القرية – إضافة إلى تكفلها بتكفين الميت وقطع دابر الموت عمن حوله – أنها أنذرتهم بالطوفان القادم، الأمر الذي مكّنهم من تفاديه قدر الإمكان:

(أنا لست من القرية وأهلها. لكني جوار سيدنا الإمام عسكر. وأعلم ما لا تعلمون. الروز يجري لمستقر له وأنتم غافلون يا أهل قراه، ومن تشربون ماءه الرقراق، عن ذلك غافلون).[39]

وبهذا يتكشف المنحى الاجتماعي والنفسي لدى شخصية "حنونة"، فهي من الشخصيات ذات السلوك السوي نوعاً ما في سياق علاقاتها بالآخرين، ولعلّ هذا يعود أصولاً إلى نزعة التديّن لديها أو التمسّك بالتراث الديني والمظاهر المقدسة التي تكشف عن طبيعتها الملتزمة والمحافظة دون أي تغيير.

نتائج البحث:

من عرض طبيعة الشخصية الفاضلة في رواية (الروز) لحسام خوام آل يحيى نخلص إلى النتائج الآتية:

1- شكّلت رواية (الروز) من حيث الشكل، مساراً درامياً فنياً تبرز فيه ميزة الشخصيات على المستوى الاجتماعي والنفسي والأخلاقي. وهذه المستويات تتضافر فيما بينها لتكشف عن طبيعة شخصيات العمل، والكشف عن الدواعي والأسباب التي أدت إلى تكوينها.

2- تعدّدت الشخصيات الروائية في العمل، ونالت قسطها الوافر من البطولة، بمعنى أنها بمجملها كانت شخصيات رئيسة، وهذا التعدد مردّه إلى طبيعة المكان وطبيعة العلاقة التي تجمع بينها، والمتولدة عن سياق تاريخي جغرافي مشترك، متمحور حول قرية (الإمام عسكر).

3- تبدو علاقة الشخصية بالمكان عموماً علاقة نمطية من حيث الوظيفة، فالبيئة القروية المتخلفة – بيوت طين وبساطة في توافر سبل العيش – تفرض على الشخصيات طابعاً أحادياً أو نمطياً، بيد أنّ التحول يبرز واضحاً لدى شخصيتي الملا منيف وجميل جبارة، فكلاهما لا يحمل أخلاق الريف أو طباع أبنائه، فالأول تحمله فهلويته على أن

---

[36] م. ن، ص31.
[37] م. ن، ص57.
[38] م. ن، ص73-74.
[39] م. ن، ص82.

يقسم بكل ما هو مقدس من أجل نيل ضعف إيجاره، والثاني يحمل صفات ابن المدينة من حيث طبيعة التفكير التجاري الذي كان يمارسه.

4- تصنّف شخصيات الرواية بين ما هو متحول، وما هو نمطي ثابت، وقد طغت الشخصية الفاضلة على الشخصيات النمطية ذات الاتجاه الواحد في مسار الحدث الروائي، مثل شخصية (حسن) و(حنونة) و(عمران)، بينما تمحورت الشخصية المتحولة أو المركبة حول باقي الشخصيات مثل شخصية (ملا منيف) و(جميل جبارة) و(نومان) و(حسنة) وسوى ذلك من ضروب التعميم التي عمد إليها الكاتب ليشمل في حديثه أهالي القرية على العموم دون تحديد أسمائهم.

5- لم تخلُ الشخصيات المركبة من صفات الفضيلة، بمعنى حملها صفات إيجابية على الصعيد الإنساني وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية في القرية، وإن كانت هذه الشخصيات متراوحة بين النقيضين، الخير والشر، الحق والباطل، الرذيلة والفضيلة، ولا سيما شخصيتا (ملا منيف) و(جميل جبارة).

المصادر والمراجع.

أولاً: المصادر:

- خوام آل يحيى، حسام: الروز، دار ميزوبوتاميا، بغداد، 2016م.

ثانياً: المراجع.

1- أبو الفضل، جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مج (7)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
2- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
3- فتحي، ابراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، تونس، د. ط، 1998م.
4- زعرب، صبيحة عودة: غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، مجدلاوي، ط1، 2015م.
5- برمس، جيرالد: المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م، ص42.
6- الحجيلان، ناصر: الشخصية في الأمثال العربية، دراسة الأنساق الثقافية للشخصية العربية، النادي العربي، الرياض، ط1، 2009م.
7- مرتاض، عبد الملك: القصة الجزائرية العاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1990م.
8- العلمي، مسعودي: الفضاء المتخيل والتاريخ في رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج، شهادة الماجستير (مخطوط)، تخصص أدب جزائري معاصر، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، 2010/2009م.
9- الجبوري، عبد الكريم: الإبداع في الكتابة والرواية، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ط1، د.ت.
10- مرشد، أحمد: البنية والدلالة في رواية إبراهيم نصر الله، دار فارس، ط1، بيروت، 2005م.
11- جينيت، جيرار: نظرية السرد (من جهة النظرية والتأثير)، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الإكاديمي، ط1، 1989م.
12- مرتاض، عبد الملك: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1996م.
13- القصراوي، مها: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2004م.
14- بو عزة، محمد تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.
15- بو عزّة، محمد: تحليل النص السردي، (تقنيات ومفاهيم) منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم وناشرون (لبنان)، ط1، 2010م.
16- هلسا، غالب: المكان في الرواية العربية، دار ابن هانئ، دمشق، 1989م.
17- جينيت، جيرار وآخرون: الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، المغرب، 2002م.
18- لحميداني، محمد: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993م.
19- [1] فتحي، ابراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، تونس، د. ط، 1998م.
20- برمس، جيرالد: المصطلح السردي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.

مرتاض، عبد الملك: القصة الجزائرية العاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1990م.
-21 حسن الساعاتي، سامية: الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1983م.
22- عزام، محمد: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، 2005م.
23- أرسطو طاليس؛ فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1973م.
24- [1] غنيمي هلال، محمد: النقد العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت، د.ط، 1973م.
25- [1]الموسى، خليل: التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية، مجلة المعرفة، عدد (395)، 1995م.
26- شكري، غالي: النقد والحداثة الشريدة، رياض الريس للكتب، لندن، د.ط.
27- سلامة، محمد علي: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
28- فتاح، علي عبد الرحمن: تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، مجلة الآداب، عدد (102)، جامعة بغداد، 2012م.
29- جينيت، جيرار: نظرية السرد (من جهة النظرية والتأثير)، تر: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الإكاديمي، ط1، 1989م.
30- نوفل، يوسف: قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1977م.
31- التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2003م، سعيد حميد كاظم، تموز للطباعة والنشر، دمشق، 2006م.